كشف الستار على هدي الأبرار على طلعة الأنوار في علم آثار النبي المختار

أ.رزاق الحبيب
قسم العلوم الإسلامية

أولا:وصف المخطوط.

عنوان الكتاب: هدي الأبرارعلى طلعة الأنوارفي علم آثار النبي المختار

المؤلف: عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي.

الناسخ: أحمد بن طير الجنة الحاجي.

ملاحظة: الناسخ كان طالبا ومريدا للشيخ؛ ونقل من نسخة شيخه. ونبه على ذلك في نهاية المخطوط.

الخط: مغربي، اللون، الأسود، العناوين والنظم: بالأحمر.

بداية المخطوط: الحمد لله ربّ العالمين، الذي جعلنا من أمة سيد المرسلين...

نهاية المخطوط: ...ونعم المولى، ونعم النصير.

عدد الألواح: 46. المقاس: 21-15.

عدد الأسطر في الصفحة ما بين: (18- 31)؛ هذا يدل على أنّ الناسخ غير محترف.

مكان النسخة: الخزانة لآل بلعمش الموساني الجكني بزاوية سيدي بلعمش بتندوف.

ثانيا: ترجمة المؤلف:

قال محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي:" هو سيدي عبد الله[1] بن إبراهيم بن الإمام محنض أحمد العلوي [من غير أبناء فاطمة رضي الله عنها وسلم عليها وعلى آلها، نسبة إلى قبيلة العلويين(إد وعل) إحدى القبائل الموريتانية المشهورة بكثرة الشعراء والأدباء والعلماء.

ولد ـ رحمه الله ـ بعد منصف القرن الثاني عشر الهجري، بقرية تججكة، بمنطقة تكانت بموريتانيا،فاعتنى به والده منذ صغره حتى حفظ القرآن، كعادة أهل تلك البلاد.

ولما بلغ مبلغ الرجال تهيأ لطلب العلم، وبدأ رحلته فيه بعلماء بلده، فأخذ عن الشيخ المختار بن بونا الجكني، والشيخ سيدي عبد الله الفاضل اليعقوبي، والحاج أحمد خليفة العلوي، وغيرهم من جلة علماء قطره..."[2].

قال أحمد بن الأمين الشنقيطي:" ...مكث أربعين سنة يرتاد لطلب العلم لم يشبع منه، يأخذ عن من وجد عنده زيادة، حتى انتهى إلى الغاية القصوى، جمع أولا ما في الصحراء، ثم أقام بفاس مدة كثيرة[3] للنظر والتحرير، تلقى على البناني محشي عبد الباقي، وتلقى البناني عنه أيضا، فحج ولقي من يشارإليه من علماء مصر، وذاكرهم أيضا،وأفادهم واستفاد منهم، وبلغ خبره أمير مصر... علي باشا فأكرمه، ومن جملة ما أتحفه به، فرس من عتاق خيل مصر المعروفات بالكحيلات، فسئل عنها [بعد ذلك] فقال: جعلتها حطّاب"[4].

قال محمد بن محمد المختار الشنقيطي:" ... وتخرج عليه عشرات العلماء، وترك مؤلفات كثيرة تمتاز بتحقيقات نفيسة، فأقبل عليها العلماء، منها:

ـ **هدي الأبرار على طلعة الأنوار**[5]؛ وهي الكتاب المقدم لرفع الستار عنه في هذه المداخلة].

– نيل النجاح في مصطلح الحديث: حققه أ محمد الكبير العلوي.

– مراقي السعود وشرحه نشر البنود. [وهي ألفية في الأصول]. [وطبعا مع بعض في جزأين مرتين بالمغرب].

-أيضا مراقي السُعود إلى مراقي السعود لمحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني المعروف بالمرابط؛ وهو في جزء واحد بالمدينة بالعربية السعودية، والكتاب تحقيق لرسالة ماجستير نالها صاحبها بامتياز بتاريخ: 24/ 07/ 1401هـ.

-ونوازل في الفقه:[مجموعة فتاوي ورسائل ألفها في شتى الموضوعات، وقد اعتنى بها الفقهاء ورتبوها ، ونظمها الشيخ محمد العاقب بن مايابي الجكني، وطبعت بليبيا بتحقيق التواتي.

-وألفية في البلاغة [فيض الفتاح] مع شرحها نور الأقاح؛ وهي في علم البيان، طبع بالمغرب 1329هـ.

-طرّة الضوال والهُمَّل: ألفه في الرد على الأعراف المخالفة للشرع، وردا على فتاوي الفقهاء الشاذة.

-صحيحة النقل في أنساب العلويين والبكريين، وتاريخ عمارة شنقيط وحروب قبائلها.

-رشد الغافل: نظم وشرح، موضوعه الإرشاد لطبة القرآن العظيم والابتعاد عن علوم الطلاسم.

- يُسِرُّ الناظرين شرح منظومة روضة النسرين في الصلاة على النبي **صلى الله عليه وسلم**.

-مكفرات الذنوب : نظمه وشرحه.

-نظم في قراءة الثلاثة بقية العشرة"[6]

وشارك في الجهاد ضد البرتغاليين أيام حملتهم على المغرب، وتوفي في حدود سنة 1230هـ"[7] .

وقد رثاه العلامة بابا بن أحمد بيب بقوله:"

أحيا علوم الشرع حتى ظهرتْ وأهلكَ البدعة حتى اندثرتْ

طودٌ[8] علوم ما له نظير يزول؛وهو لم يزلْ ثبير"[9]

قد كاد يوصف بالترجيح لفهمه ونقله الصحيح

علم الحديث فيه لا يبارى كأنما نشأ في بخارى[10]

وقال فيه الطالب محمد الولاتي في فتح الشكور: «كامل القريحة والفهم، أخذ من العلوم بأوفر نصيب، سريع الانقياد والرجوع إلى الحق، قائما بامتثال الأمر واجتناب النهي متبعا لسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ،لا تدوم معه بدعة"[11].

ثالثا: نماذج من مخطوطة هدي الأبرار على طلعة الأنوار.

النموذج الأول:

فال في بداية الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، الذي جعلنا من أمة سيّد المرسلين، التي جعلها خير أمة أخرجت للعالمين، ولم يُخْلِها من متعلمين وعالمين، متشبثين بعُرى الحق صابرين وقائمين، والصلاة والسّلام على سيّدنا محمد المؤيَّد بالكتاب، المحفوظ على ممر الأحقاب، المبَيِّن بحديثه الذي لا يحيد عن الصواب، ثاني القرآن في الإعجاز وقهر الألباب، وعلى آله وصحبه الذين شادوا أركان الدين ، وطهّروا الغبراء من رجس الفسقة والملحدين، وبعد:

فيقول عبد الله بن إبراهيم العلوي (أعلاه الله في الدارين) لما كان علم الحديث أصلا من الأصول، ولا يمكن لأكثر الأحكام دونه حصول، إنّه عليه مدار الحديث الذي جعله الله للقرآن سُلَّما، يخصِص عامه، ويبيِّن ما كان منه مجملا. وكان في هذه البلاد كالكبريت الأحمر؛ (أقوى)[12] منه كلُّ بلد وأقفر، ندبني[13] إلى منظومة فيه زوال تلك الغربة؛ رجاء الفوز منه تعالى بالقربة، والأمن في القبر والحشر والجسر من الكربة، ثمّ لما منّ الله تعالى بتلخيصها وتهذيبها، وتخليصها، ندبني إكمال المرام، إلى شرح سهل يشفي الغرام، ويسمى: هدي الأبرار على طلعة الأنوار ، وقد قدر الله تعالى بمنه الشروع فيه منتصف شعبان عام واحد بعد المائتين والألف[14]، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله الرحيم الرحمن....."[15]

النموذج الثاني: **آداب المحدِّث**[16]

(273)- أخلص تطيب وتوضأ واغتسل

قال الشيخ في الشرح[17]:"هذا شروع في آداب مَن تصدى لإسماع الحديث، أو للإفادة فيه، وأقل ما فيها أن تكون مندوبة شرعا، منها إخلاص النّية، وذلك واجب في كل فن أردت تعلمه أو تعليمه، بأن لا تطلب به عوضا دنيويا، ولا رئاسة، قال **صلى الله عليه وسلم** :" إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ..."[18]. وممّا يعينك على الإخلاص تدبر قوله **صلى الله عليه وسلم** " من ازداد علما ولم يزدد في الدنيا زهدا، لم يزدد من الله إلا بعدا"[19]، وقوله **صلى الله عليه وسلم** " أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ" [20] أو كما قال.

وكذلك من آدابه استعمال الطيب كما كان مالك يفعل، كان يبخر بالعود الهندي حتى ينقضي المجلس تعظيما لحديثه **صلى الله عليه وسلم**، قال الشاعر:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم   ولو عظموه في النفوس لعظما[21]

ومن آدابه الوضوء والغسل معا، وغير ذلك من حسن هيئة، كإزالة ما يؤخذ للفطرة[22]، وتنظيف الثياب، وتحسينها، واستحب عمر البياض للقارئ. وسواء فيما قلنا تحسين الهيئة (العالم)[23] والمتعلم في الحديث وغيره من العلوم الشرعية لقول عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ"[24]، "... إذ أقبل رجلٌ أحسنُ الناس وجهًا ، وأطيبُ الناس ريحًا ، كأن ثيابَه لم يمسَّها دَنس..."[25]، قال ابن حجر الهيتمي:" فيه ندب تحسين الهيئة للمعلم؛ لأنّ جبريل معلم بدليل" يعلمكم دينكم، ومتعلم بمقاله وحاله". وذكر بعض شراح مختصر خليل عند قوله:" ... واستباحة ما ندبت له..."[26] "ندب الوضوء لكل معلِم ومتعلم، وعند الدعاء، والدخول على من له سلطنة".

(...)[27]- **وازجر لمن رفع صوتا أو جهل**

بمعنى أنه يجب زجر من رفع صوته على الحديث والقرآن، أمرا بمعروف ونهيا عن منكر، لحرمة رفع الصوت عليهما؛ لأنّ حرمته [**صلى الله عليه وسلم**] ميّتا كحرمته حيّا، وقد نهى الله تعالى عن ذلك في حياته فقال: **(... لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...)** الآية[28]، وبحرمة رفع الصوت على الحديث قال مالك وغيره؛ فمن عبر عن الكراهة فمراده التحريم[29] (حديثه أو حديث عنه يطربني ينبوع هذا إذا حضر وهذا إذا غاب)، ويكره رفع الصوت في المواضع المعظمة كالمساجد لغير عذرشرعي كالوعظ والخطبة، لقوله عليه السّلام: ":"جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ، وَخُصُومَاتِكُمْ، وَحُدُودَكُمْ، وَشِرَاءَكُمْ، وَبَيْعَكُمْ، وَجَمِّرُوهَا يَوْمَ جَمْعِكُمْ، وَاجْعَلُوا عَلَى أَبْوَابِهَا مَطَاهِرَكُم""[30]، وجمروها في الجمع (أي) بخِروا، وقد (أخرجه الطبراني وابن ماجة)[31]، ويكره رفع الصوت في مجالس العلم وبحضرة العالم؛ لأنّ العلماء ورثة الأنبياء. (**أو جَهِل**) بكسر الهاء؛ يعني أنّه من الآداب أن تزجر وتنهى مَن أعرض من أهل المجلس عن الإنصات للحديث؛ لأنّ الإعراض عنه حرام، قال الله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ ...)[32]الآية على أرجح ثلاث تأويلات، وقيل: المراد الخطبة، وقيل: قراءة الإمام والحديث والقرآن؛ كلّ من عند الله،(**{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }**)[33].

(274) - واعلُ مع الوقار والطريق

دَعْ وعَمّـمَنْ للطالبـين تُتْبَع

يعني أنه ينبغي لقارئ الحديث الجلوس بموضع عال تعظيما لحديثه، واقتداءا بفعل السّلف الصالح (ذكره الشامي في سيرته من خصائص الحديث،وذكر السيوطي في الخصائص[34] :"**إنّ كتب الحديث لا توضع إلاّ بموضع عال كالمصاحف**". ويكون ذلك العلو مع سكينة ووقار، ولا يكثر الحركة والالتفات، ولا يكثر الضحك، وكذلك ينبغي لمن حضر؛ لأنّه **صلى الله عليه وسلم** كان إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنّما على رؤوسهم الطير، ولا ينبغي

التحديث في الطريق، ولا في حال القيام، وكذلك مريد أخذه، ولذلك تجاوز مالك مجلس سلمة بن دينار[35] حين لم يجد موضعا يجلس فيه لكثرة النّاس، وأمر مالك بسجن القاضي جرير بن عبد الله الحميدي لما سأله وهو قائم، ولا يعَارَض بما في صحيح البخاري على شرطه أفتى؛ وهو واقف بمنى في حجة الوداع، يقول **صلى الله عليه وسلم**:« افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ »[36]، قال القسطلاني:"لأنّ الوقوف بمنى لا يعد وقوفا بالطرقات؛ لأنّه موقف سنة وعبادة، ووقت ذكر، وحاجة التعلم **خوف فوات** إما بالزمان أو بالمكان". مع أنّه أفتى فهي بمنزلة الكرسي فليس فيه غضاضة للعلم، وينبغي لمعلمِ حديث أو غيره تعميم الطالبين فلا يخص أحدا على أحد، لكن ينبغي تقديم أهل الفضل من ذوي العقل والفهم والمعرفة والدين والشرف والسن في مجالس والصلاة ومشاهد الذكر، ومعارك قتال الكفار، فيكون النّاس في كل الأمور على مراتبهم؛ لما في صحيح مسلم: « ...لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »[37]، وقول عائشة رضي الله تعلى عنها :" [38]"

تنبيه: ينبغي (كما في العهود المحمدية)[39]كَتْبُ كُتُبِ الحديث وإرسالها إلى الآفاق الخالية منها..."، قال الثوري:" ما كان في النّاس أفضل من طلبة الحديث[40]... ولا يمتنع لان نشر العلم عند الحاجة إليه لازم والممتنع من ذلك آثم ..."[41]

(275)- وكن لدى التعليم والتذكير

في الموضع الخالي من التحجير

[أكتفي له بهذه الفائدة] قال:"...ويكون بموضع مشتهر من المسجد كصدره؛ لأنّ العلم لا يهلك إلاّ إذا كان سِرا"

(276) – والْزَمْ للا أدري إذا ما تسأل

عن كشف ما التحقيق فيه تجهل

يعني أنّه يجب على العالم عن بيان ما يجهل حقيقته أن يقول: لا أدري، ولا نقص عليه في ذلك، بل ذلك دليل على الورع، ووفور العلم، قال علي ـ كرم الله وجهه: وأبردها على كبدي إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم"، [وقيل]:

ومن كانَ يهوى أن يُرى متصدراً   ويكرَهُ لا أدري أُصِيبَتَ مقاتِـلُه[43]،

وفي مقدمة التمهيد لابن عبد البر:" سءل مالك عن ثمان وأربعين، فقال في اثنين وثلاثين لا أدري"[45]، وقال المحلي:" إنّه قال لا أدري في ست وثلاثين"، وقال أبو حنيفة في ثمان لا أدري؛ ما الدهر؟ ومحل أطفال المسلمين، ووقت الختان، وإذا بال الخنثى من الفرجين، والملائكة أفضل أم الأنبياء، ومتى يصير الكلب معلما؟ وسؤر الحمار؟ ومتى يطيب لحم الجلالة؟ وكان أحمد بن حنبل كثيرا ما يقول: لا أدري، وقال الشافعي في المتعة[46]:" لا أدري أكان فيها طلاق أو ميراث، أو نفقة تجب أو شهادة" (**الزم**) فعل أمر من لزِم كعلم، واللام في (**للا أدري**) زائدة، و(**تُسأل**) مبني للمفعول، و(**التحقيق**) مفعول تجهل مقدم.

(289) ـ وينبغي الإمساك إن ما خَرِفا

وعدم الضبط بسن عرفا

ما زائدة، وخرِف الرجل، كنُصِر وفرح وكرم، ولاسم الفاعل ككتِف، فسد عقله، (**وعدم**) مبتدأ خبره جملة (**عُرفا**) بالبناء للمفعول، يعني أنّه ينبغي بل يجب على من خرِف؛ بحيث يخاف عليه التخليط، ولأن يدخل في حديثه ما ليس منه، أن يمسك عن التحديث، والمعروف عندهم عدم تحديد الخرف بسن معروف[47] ـ خلافا لمن حده بالثمانين، قال والذكر والتلاوة أولى بأبناء الثمانين، وقد حدث من الصحابة بعد الثمانين: أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى، وبعد المائة حكيم بن حزام[48]، وحدث الإمام مالك بعد الثمانين وقال:﴿ إنّما يخرف الكذابون".

قال العراقي[49] : البغوي والهجيمي وفئة كالطبري حدثوا بعد المائة[50]

(280) ـ وترك تحديث وثمَّ أفضل

منه إذا لم يأذن المُفضَّل

يعني أنّه ينبغي أن لا يحدث من يعلم أنّ في البلد أفضل منه، (أي) أرجح، ككونه أعلى منه سندا إلى غير ذلك من المرجحات؛ ولو طلب منه التحديث، بل يدل على من هو أحق منه بذلك؛ لأنّه من النصيحة في العلم. قال يحي بن معين[51]:" : ... الذي يحدث بالبلدة وفيها أولى بالتحدث منه [فهو] أحمق. وقال:"إذا حدثت [في بلد] فيه مثل أبى مسهر فيجب للحيتي أن تحلق"، ومحل النهي إذا لم يأذن المفضَل (بفتح الضاد المعجمة) للمفضول؛ وإلاّ فلا بأس، صرح بالإذن، أو فُهم من حاله، لقول عائشة رضي الله تعالى عنها لامرأة من الأنصار:" تتبعي أثر الدم"[52].

قال ابن حجر:" اخذ من تفسير كلام العالم بحضرته؛ إذا كان يعجبه>.

(283)- واحمد وصلّ ثمّ سلّم وابتهل

في بدء مجلس وختم تمتـثل

يعني: أنّ قارئ الحديث إذا أراد امتثال سنة السّلف، وفعل ما هو مستحب، يبدأ كلَّ مجلس للحديث بكل واحد من: **الحمد، والصلاة والتسليم** على النبي **صلى الله عليه وسلم** ، **(والابتهال)** أي الاجتهاد في الدعاء بما يليق، ويكون الدعاء ثلاث مرات، وكل ذلك بعد البسملة؛ لأنّها مقدَمة، وكذلك يستحب البداءَةَ بتلك الأربع لكل مصنف ومدرس ودارس وخطيب وخاطب، وسائل ومفت، ومتزوَج، ومزوِج، وبين يدي سائر الأمور المهمة. قال ابن الصلاح:" ومن أبلغ ما يفتتح به مجلس الحديث، الحمد لله رب العالمين، أكمل الحمد[53] على كل حال، والصلاة والسلام، على سيد المرسلين، كلما ذكره الذاكرون، وكلما غفل عن ذكره الغافلون. اللّهم صلى عليه وعلى آله وسائر النبيين وآل كل، وسائر الصالحين، نهاية مما ينبغي أن يسأله السائلون "[54].

وكان **علماء الجزائر** كسيدي **سعيد قدورة** يختمون مجلس الحديث بما نصه" اللهم صلِّ أفضل صلاة على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد، وعلى آله وسلم عدد معلوماتك، ومراد كلمتك، كلما ذكرك وذكره الذاكرون، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون ثلاثا"[55]، ووجد بخط سيدي حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل[56] ما نصه:" بسم الله الرحمن الرحيم و **صلى الله عليه وسلم** على سيدنا محمد وآله، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما يحبّ ربّنا ويرضى... "اللهم صل على (سيدنا)[57] محمد، وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد"[58] كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك الغافلون، وصل على سائر النبيين والمرسلين، والكل وسائر الصالحين نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون، اللّهم إنا نسألك من خير ما سألك فيه نبيك سيدنا محمد صلى **صلى الله عليه وسلم** ونستعيذ بك من شرّ ما استعاذ منه نبيك سيدنا محمد **صلى الله عليه وسلم** ، ونسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونستعيذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، ونسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونستعيذ بك من الشرّ كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، وأنت المستعان، وعليك التكلان، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللّهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللّهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعل ذلك الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا يا أرحم الراحمين"[59]قاله في الأجوبة الناصرية[60]، إنّ الداعي بهذا الدعاء يقف أولا عند قوله(وعليك التُكلان) ـ بضم التاء ـ قاله النووي[61]، وظاهرالقاموس الفتح؛ لكن النص مقدم على الظاهر[62].

واكتفي بهذا القدر حتى يتيسر تحقيقه، إنّ ربي سميع مجيب؛ وهو ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية هذا الكتاب:

إنّ أهمية هذا الكتاب تعود إلى مكانة علم الحديث بين العلوم، فهو فخر هذه الأمة في علومها، إذ هي خير أمة أخرجت للناس فيه، ولا يوجد من هو أصدق منها في أخبارها في الوجود، كما أنّه غاية في الأهمية في شرح وبيان ما أنزله الله لهذه الأمة في قرآنها، فأدركت الأمة الأهمية لعلم السُنة منذ فجرها، وهي تسمع لتحذير نبيها **صلى الله عليه وسلم** وهو يحدث،

فقد روى البخاري بسنده عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ إِنِّى لاَ أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – كَمَا يُحَدِّثُ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ. قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »[63]، فقعّد العلماء القواعد في ذلك، وبمرور الزمن نشأت المدارس الحديثية[64]، وتكوّن فيها علماء أفذاذ منهم عبد الرحيم بن الحسين العراقي الذي بين قصده فيه في البيت الرابع منها:"

فهذه المقاصد المهمة توضح من علم الحديث رسمه.
نظمتها تبصرة للمبتدي تذكرة للمنتهي والمسنِد...
لخصت فيها ابن الصلاح أجْمَعَه وزدتُها علما تُراه موضعَه

وجاء شمس الدين محمد بن عبد الرحمن **السخاوي** كالغيث للمستغيث، فألف **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، ومعروف ما بينه وما بين السخاوي والسيوطي، وأخرج السيوطي نظمه المعروف **بألفية في الحديث**، حيث في بدايتها يقول:...

وهذه ألفية تحكي الدرر منظومة ضمنتها علم الأثر
فائقة ألفية العراقي في الجمع والإيجاز واتساق...

علم الحديث ذو قوانين تحد يُدْرَآ بها أحوال متن وسند....

والحمد لله المجيد الكريم الذي مَنَّ على هذه الأمة، "ولم يُخْلِها من متعلمين وعالمين"كما قاله عبد الله بن إبراهيم، فألف طلعته، ولم يرضها يتيمة فكفلها بهدي الأبرار، وقد ذكر لنا سبب تأليفه، وهو خلو الديار الموريطانية وما جاورها من علم الأخبار.

والذي يقرأ الهدي يشعر أنه مع ابن حجر؛ من حيث ضبط العبارة، وتارة حسن استنباط مع حسن إشارة، وبين هذا وذاك يذكر لطائف ونوادر عن علماء المغرب الإسلامي الأخيار، ومن بينهم الشيخ سعيد قدورة وغيره، وهذا ممّا يدل على التواصل الذي كان جاريا في تلك الأعصار، مع قلة ذات اليد وقوة إعثار[65]، ولكن أمثال عبد الله بن إبراهيم يسلكون الجَدَد، وما وجود هذا المخطوط في خزانة آل بلعمش إلاّ برهان ذلك الذي يدمغ، وما لرادّه من دافع، كما أن الرحالات الحِجية إلى الديار المقدسة مليئة بمثل هذا التواصل، ولست أفشي سرا إذا قلت سيطلعنا الأستاذ عبد الله حمَّادي الإدريسي، في كتابه الموسوم بشار وقصور الجوار في أدب الرحلة الحجية المغربية، بنفائس ولقاءات بين علماء تلك الأقطار والديار كالعياشي، والهشتوكي، وأحمد بن ناصر الدرعي وغيرهم.

وممّا يخجل ولا يُفشِل أنّ مثل هذه النفائس المنظومة والمشروحة، تدرس رسائل أكاديمية في المشرق العربي[66]، وما زلنا نردد:" لم نجد ذا أهمية لنشمر عن ساعد الجد فنكشف عنه ستار النسيان، وننفض عنه التراب والديدان، وقبل أن يصبح في خبر كان"، وصح فينا قول القائل:

ومن الغرائب أن تسير غرائب　　في الأرض لم يعلم بها المأمول
كالعيس أقتل ما يكون لها الظمأ　　والماء فوق ظهورها محمول [67]

ربنا بصرنا بعيوبنا، واستر عوراتنا، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد النبيّ الأمين.

الهوامش

1-في مراقي السُّعُود إلى مراقي السُّعُود: لمحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكنيّ (المعروف بالمرابط)، ص: (13-16)، تحق: محمد المختار بن الأمين الشنقيطي، مؤسسة الطبع: فؤاد بعينو للتجليد، المدينة المنورة، ط:2، 1423هـ/ 2002م. قال ناظمه في بدايته، ص: (48-54)، وفي نثر الورود على مراقي السعود للشيخ الأمين الشنقيطي، تحقيق وإكمال محمد ولد سيدي، الناشر:دار ابن حزم،طك3، عام:2002م.

يقول عبد الله؛ وهو ارتسما ... سَميٌّ له والعلوي المنتمى
الحمد لله على ما فاض ... من الجَدَى الذي دهورا غاضا
....
وجعل الفروع والأصولا ... لمن يروم نيلها محصولا
سميته مراقي السُّعود ... لمبتغي الرقي والصُّعود

2-المرجع نفسه، ص :13-16.

3-الأفضل أن يقول طويلة؛ وهي تسع سنين.

4-وهو كتاب مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ألفه محمد بن محمد الحطاب، وقد ذكر الشيخ الحطاب سنده في فقه مالك في بداية شرحه.

5-طلعة الأنوار: اعتنى بها إبراهيم بن سعد أبا حسين فحققها، بمراجعة صقر بن حسن الغامدي. كما شرحها الشيخ حسن مشاط - رحمه الله- باسم رفع الأستار، وقد طبعت.

6-مراقي السُّعُود إلى مراقي السُّعُود: لمحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكنيّ (المعروف بالمرابط)، ص: 15.

7-معالم تربوية لطالبي أسنى الولايات الشرعية - (ج: 1 ، ص: 77، 140). الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك، تأليف أحمد بن الأمين الشنقيطي،ص: (36 – 41)، ط:2، الناشر: مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء، ومؤسسة الخانجي بمصر. ونقل الزركلي في الأعلام (4/ 65): أنّ وفاته كانت سنة:1235هـ/ 1820م، ونقل محمد المختار بن محمد الأمين في سنة:1233هـ.

8-الجبل العظيم؛ إذ هو جبل علم تشبيها.

9-يقصد مع تقدمه وشيخوخته - إذ تجاوز من العمر الثمانين عاما - لم يزل يثابر على طلب العلم.

10- يريد زمن البخاري يوم أن كانت قبلة المحدثين .

11- نقلا عن مراقي السُّعُود إلى مراقي السُّعُود، ص:14-15.و معجم المؤلفين - (ج 6 / ص 18)، وانظر أيضا الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص: (39 – 41).

12-كتب الناسخ في الهامش:" خَلِيَّ"؛ ورمز فوقها ب" خـ" للخطأ الحاصل فيها، وذلك ربما بعد مراجعة ما نسخ. وأظن خلي هي الصواب، والله أعلم.

13-أي: دعاني، وفي شرح ديوان الحماسة – (ج 1 / ص 4)، قال الشاعر:

وكنت إذا جارى دعا لمضوفةٍ ... أشمر حتى ينصف الساق متزري

لايسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

14-في نهاية المخطوطة (27/ و) ذكر المؤلف رحمه الله: "تم هذا الشرح المبارك أوائل محرم فاتح خمس ومائتين وألف بمحروسة تججك أمّنها الله آمين، من كل مخوف ومكروه آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين".

15-من بداية اللوحة الأولى من المخطوطة.

16-تبدأ من اللوحة: (40 ـ 43) وجه.

17-فيما يأتي أرمز للنظم بـ"ط"، وللشرح بـ" ه".

18-الحديث رواه الجماعة، وقد ذكره محمد بن الحسن الشيباني في روايته للموطأ، باب النوادر.

19-في فيض القدير – (ج 6 / ص 52)، انظر الجامع الصغير وزيادته – (ج 1 / ص 1218): " قال الشيخ الألباني : (ضعيف جدا) انظر حديث رقم : 5393 في ضعيف الجامع".

20-الْمُعْجَمُ الصَّغِيرُ لِلطَّبَرَانِيِّ – (ج 1 / ص 305).

21-القائل الشاعر أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني يراجع الروض المعطار في خبر الأقطار – (ج 1 / ص 162).

22-فتح الباري لابن حجر – (ج 16 / ص 479):" قَالَ الْخَطَّابِيُّ : ذَهَبَ أَكْثَر الْعُلَمَاء إِلَى أَنَّ الْمُرَاد بِالْفِطْرَةِ هُنَا السُّنَّة".

23-هكذا في الأصل، والأحسن أن يقال :" للعالم".

24-في صحيح مسلم؛ وهو المعروف بحديث جبريل المشهور؛ وهو عن عمر.

25-جامع الأصول من أحاديث الرسول (أحاديث فقط) – (ج 1 / ص 3). (وأخرجه النسائي عن أبي هريرة وأبي ذر بمثل حديث أبي داود).

26-مختصر الشيخ خليل ابن إسحاق، ص: 10، تصحيح الحاج هارون علي غلم، دار الفكر.

27-النقاط تدل على الرقم السابق ؛ وفيه تمام الشطر الثاني من البيت.

28-سورة الحجرات، الآية 2.

29-وهذه الملاحظة جلاها ابن القيم في أعلام الموقعين أيما جلاء، ونقل في موضع منه:" وَقَدْ نَصَّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ أَنَّ كُلَّ مَكْرُوهٍ فَهُوَ حَرَامٌ ، إلَّا أَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيهِ نَصًّا قَاطِعًا لَمْ يُطْلِقْ عَلَيْهِ لَفْظَ الْحَرَامِ" ينظر إعلام الموقعين عن رب العالمين – (ج 1 / ص 52).

30-سنن ابن ماجه ، باب ما يكره في المساجد(ج 3 / ص 14)، و المعجم الكبير للطبراني – (ج 15 / ص 100).

31-ترتيب الكتب في ذكره ينبغي أن يسبق سنن ابن ماجة كتاب الطبراني.

32-سورة الأعراف:204.

33-سورة النجم: 3-4.

34-في الأعلام للزركلي – (ج 3 / ص 302)، وهو مطبوع.

35-في تذكرة الحفاظ – (ج 1 / ص 133):" أبو حازم سلمة بن دينار المخزومي مولاهم المدني الأعرج الأفزر التمار القاص الواعظ الزاهد عالم المدينة وقاصها أو شيخها سمع سهل بن سعد الساعدي وسعيد بن المسيب والنعمان بن أبي عياش وأبا صالح السمان وعدة وعنه مالك والسفيانان والحمادان وأبو ضمرة وخلق...".

36-الحديث متفق عليه.

37-صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها ، (ج 3 / ص 207). صحيح مسلم – (ج 3 / ص 207)، ورواه بسنده عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِى الصَّلاَةِ وَيَقُولُ « اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِنِى مِنْكُمْ ..." إلى تمام الحديث.

38-رياض الصالحين (تحقيق الدكتور الفحل) – (ج 1 / ص 232):" رواه أبو داود . لكن قال : ميمون لم يدرك عائشة . وقد ذكره مسلم في أول صحيحه تعليقاً فقال : وذكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ننزل الناس منازلهم ، وَذَكَرَهُ الحَاكِمُ أبو عبد الله في كتابه ((مَعرِفَة عُلُوم الحَديث)) وَقَالَ : ((هُوَ حديث صحيح)) . السلسلة الضعيفة– (ج 4 / ص 393)، قال الألباني في " السلسلة الضعيفة و الموضوعة " 4 / 368 .. و حسنه السخاوي ...لشواهد ذكرها ، منها حديث معاذ المتقدم قبل حديث ، و هو مع ضعفه البين هناك يختلف معناه عن هذا . و أما الحاكم فجزم في " علوم الحديث " (ص 49) بصحة الحديث ! و لعل منشأ هذا الوهم أن مسلما علقه في " مقدمة الصحيح " ،و قد أشار لضعفه.

39-الكتاب هو لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني(933هـ).

40-هنا انتهى كلام الثوري.

41-الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي: (ج 1/ ص 339، 323).

42-في مجمع الحكم والأمثال قال ابن دريد الأسدي:جَهِلْتَ فعاديتَ العلومَ وأهلَها ... كذاكَ يعادي العلمَ من هو جاهلُهْ

43-التمهيد(1/ 48)، تحق: عبد القادر عطا، ط/ 2، دار الكتب العلمية، 2003.

44-فتح الباري – ابن حجر – (ج 9 / ص 173): "ونقل البيهقي عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال هي الزنا بعينه".

45- في تدريبُ الرّاوي في شرْح تقْريب النّواوي - (ج 2 / ص 32):" [وينبغي أن يُمسك عن التّحديث إذا خَشِيَ التّخليط بهرمٍ, أوخرَفٍ, أو عمى, ويختلف ذلك باختلاف النّاس، وضبطهُ ابن خلاّد بالثّمانين, قال: والتّسبيح والذّكر وتلاوة القرآن أولى به. فإن يكن ثابت العقل, مجتمع الرّأي فلا بأس, فقد حدّث بعدها أنس, وسَهْل بن سعد, وعبد الله بن أبي أوْفَى, في آخرين, ومن التّابعين: شُريح القاضي, ومُجَاهد, والشّعبي, في آخرين, ومن أتباعهم: مالك, واللّيث, وابن عُيينة. وقال مالك: إنّما يخرف الكذّابون".

46- في تبصير المنتبه، ص102، قال ابن حجر:"بكسر الزاي".

47- ألفية الحديث العراقي، مؤسسة الرسالة، ط1.، باب آداب المحدث. ص:88.

48- شرح التبصرة والتذكرة: (ج 1 / ص 178):" وأبو القاسم عبدُ اللهِ بنُ محمّدٍ البغويُّ ، وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عَلِيٍّ الْهُجَيْمِيُّ ، حَدَّثَ وهو ابنُ مائةٍ وثلاثِ سنينَ ، والقاضي أبو الطَّيِّبِ طاهرُ بنُ عبدِ اللهِ الطَّبَرِيُّ ، والحافظُ أبو الطاهر أحمدُ بنُ محمّدٍ السِّلَفِيُّ ، وغيرُهُم ؛ ولم يتغيرْ أحدٌ منهم، وقرَأَ القارئُ يوماً على الْهُجَيْمِيِّ بعدَ أنْ جَاوزَ المائةَ ، وأرادَ اختبارَهُ بذلك .

49- كالكَلْبِ يَحْمِي جِلْدَهُ بروْقِهِ   إنَّ الجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ

50- فقالَ لَهُ الْهُجَيْمِيُّ : قُلِ الثّوْرَ يا ثَوْرُ ! فإنَّ الكلبَ لا روقَ لَهُ ، فَفَرِحَ الناسُ بصحةِ عقلهِ وجودةِ حسِّهِ".

51- قول ابن معين انظره في مقدمة ابن الصلاح: 1/ 53، شرح التبصرة والتذكرة للحافظ العراقي: 1/ 179.

52- هذا اللفظ من جامع الأحاديث للسيوطي:(ج 40 / ص 91)، والحديث صحيح رواه الشيخان وغيرهم.

53- لأنها آية في أم القرآن، وعند المالكية أولها. على خلاف هل البسملة آية منها أم لا؟

54- مقدمة ابن الصلاح: (ج 1 / ص 53).

55- في الرسالة للشافعي، حق: أحمد محمد شاكر،ص:16، طبع سنة:1306هـ دار الكتب العلمية أو الحرمية؛ لأنّه شطب على تاريخ الطبع الذي ذكرته، بيروت لبنان.

56- لم أجده.

57- لفظ سيدنا لم يرد في رواية الموطأ ولا فيما يخص بعد التشهد في الصلاة، ولكنه ورد في غيرأمر الصلاة ففي إرواء الغليل: (ج6،ص221) (حديث ابن عمر : " أنه كان إذا دعي ليزوج قال : الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد؛ إن فلانا يخطب إليكم فإن أنكحتموه فالحمد لله، وإن رددتموه فسبحان الله " . 2 / 145 صحيح .وأيضا في مصنف أبي بكر بن أبي شيبة كلما أنهى بابا إلاّ وقال ذلك.

58- الموطأ، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، رواية القَعنبي، تحق: عبد المجيد تركي، ط/ 1، 1999م، بيروت، لبنان.

59-فتح المغيث: (ج 2 / ص 333). وقد نقله عن ابن الصلاح وقال معلقا:"وما قال ابن الصلاح إنه أبلغ في ذلك قد توزع فيه فاقتصر على هذا.

60-"الأجوبة الناصرية" "الفقه" "أبو عبيد الله محمد بن محمد بن أحمد" "ابن ناصر الدرعي" "1085 هـ" "أوائل جمادى الأولى عام 1116 هـ" "الحمد لله الذي عمت نعمه العوالم كلها وجعل العلماء ورثة الأنبياء..." "129" "16" "27 سم / 17 سم" "مغربي مشكول وملون" "الورق" "متوسطة" "تحبيس السلطان سيدي محمد بن عبد الله عام 1225 هـ" "1461" "99/ 312". ينظر فهرس مخطوطات .

61-شرح النووي على صحيح مسلم،كتاب مقدمة الإمام مسلم، باب في الاحتجاج بالسند المعنعن،(1/ 124) اعتناء: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، الناشر: مكتبة دار الصفا، توزيع مكتبة السلام الجديدة، المملكة المغربية، ط1 سنة:2003.

62-والمؤلف لأنه أصولي من المبرزين، فإنه ظهرت عليه صنعته في هذا التعبير.

63- صحيح البخاري ، كتاب العلم، باب: باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم.

64-جامع المقدمات العلمية لمهمات الكتب والمصنفات الشرعية - (ج 1 / ص 194):" وروى ابن عبد البر بسنده إلى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل عن أبيه قال:

دين النبي محمد آثار *** نعم المطية للفتى الإخبار

لا تعدُ عن علم الحديث وأهله *** فالرأي ليل والحديث نهار

65- من التعثر، والجَدَد الأرض الصلبة.

66-في وموقع ملتقى أهل الحديث هذه المشاركة المسجلة بتاريخ17/ 11/ 2002:"بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهوبعد:لقد ألف الشيخ العلامة الكبير عبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي نظما سلساً رائقا اختصر فيه ألفية الحافظ العراقي في المصطلح وسماه " طلعة الأنوار" وقام بشرحه في كتاب أسماه " هدي الأبرار على طلعة الأنوار. وقد انتهى صاحبنا الشيخ إبراهيم بن سعد أبا حسين وفقه الله ورعاه من تحقيقه على ثلاث نسخ اثنتان منها خطيتان وقد أراني مشكورا أثابه الله صورة لعمله وتحقيقه. ويقوم الآن بمراجعته المراجعة النهائية لإعداده للطبع جزاه الله خير الجزاء.

المراسلة جاء فيها: أخي الكريم [صقر بن حسن الغامدي]،هل نظم العلامة العلوي للطلعة هو اختصار لألفية العراقي كما ذكر لي بعض الإخوان؟ بتاريخ10/ 08/ 2005م، يهمني جداً رفع هذا النظم على الملتقى، فلا تبخلوا إخواني بهذا. جزاكم الله خيراً.

67-صبح الأعشى: (ج 5 / ص 206).